العوامل المؤثرة في صلات القبائل العربية مع بعضها قبل الإسلام

أ.م.د. زينب فاضل مرجان
جامعة بابل/ كلية التربية - صفي الدين الحلي
م.م. حيدر عامر هاشم صباح السلطاني

المقدمة

كان للحقبة السابقة للإسلام خصوصيتها المميزة من حيث المنحى والتوجهات السياسية حيث أن موطن العرب قبل الإسلام ذات صفة متباينة في المناخ والتضاريس وهذا الاختلاف جعل منه موطناً متعدد الخصائص وذا نظام معين، فضاقت شبه الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة على إمداد سكانها بأسباب العيش الرغيد فعاش العربي في أحضان طبيعة قاسية أنتجت أعرافا وتقاليد أضحت قانونا كاد يكون ثابتا تسير عليه القبائل لرسم صورة صلاتها مع بعضها البعض.

وإن النظام السياسي في القبيلة العربية بشكل خاص وفي الجزيرة العربية بشكل عام قبل الإسلام لم يخضع لسلطان دولة ولم يكن له نظام موحد يسير عليه ويتبع قواعده وكان لطبيعة معيشتهم وقسوتها الأثر البالغ في ذلك فضلا عن عدم وجود شخصية قوية تملك من المؤهلات وقوة البديهة واتساع الأفق ليكون قائد المجتمع العربي كما فعل الرسول محمد (ﷺ).

والعامل الأساس في رسم صورة الصلات بين هذه القبائل هو مجموعة من الأحكام والأعراف القبلية، منها العامل الاقتصادي والتعصب للقبيلة وما يترتب عليه من تبعات مثل الثأر، فضلا عن حماية الجار، والمصاهرات، وما يلقيه الشعراء من أشعار، والعامل الديني وبعض التدخلات الخارجية، وقد يتدخل عامل واحد أو عدة عوامل في تشكيل طبيعة الصلات بين القبائل العربية، والأساس الذي تبني عليه القبيلة سياستها وتوجهاتها تجاه القبائل الأخرى هو مصلحة القبيلة وأفرادها المنتمين إليها، وعلى الرغم من ذلك فان الطبيعة القاسية وقلة الموارد الاقتصادية الضرورية للحياة وتعذر تحقيق الاكتفاء الذاتي في القبيلة الواحدة وعدم استغناء الجماعات القبلية عن بعضها البعض قد دفعت هذه القبائل لإقامة صلات حسنة فيما بينها حيناً وعدائية حيناً آخر.

إلا أن الغالب على هذه الصلات بين القبائل هو التنافر والتنازع وانتشار الاضطراب السياسي والاقتصادي، وكان لقوة القبيلة وشدة مراسها وقدرتها على الغزو الأثر البالغ في رسم صورة صلاتها مع القبائل الأخرى ويتمثل ذلك في شعر زهير بن أبي سلمى إذ قال:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يُهدَّم ومن لا يظلم الناس يُظلمُ

ورغم ذلك فأن استخدام هذه القوة كان يحده التقيد بالأعراف والتقاليد والأحكام القبيلة، ولأن حياة هذه القبائل قد طبعت بطابع الغزو والإغارة فان كل واحدة منها معرضة للسبي والأسر والقتل لذلك كان لزاماً عليها إن كان لها النصر أن تتقيد بهذه الأعراف وإلا تعرضت للمعاملة بالمثل إن دارت عليها الدوائر.

وتضمن هذا البحث الموسوم بـ **(العوامل المؤثرة في صلات القبائل العربية مع بعضها قبل الإسلام)** ثمان عوامل أساسية في رسم صورة تلك الصلاة رُتبت على أساس قوة أثرها في رسم الصلات بين تلك القبائل وأبرزها العامل الاقتصادي يليه العامل الاجتماعي التي ضم الثأر والديات والإجارة وحماية الجار والمصاهرات، والعامل الآخر هو الشعر يليه عامل الدين وختمنا الباحث بأثر السياسة الخارجية في صلات القبائل العربية مع بعضها البعض.

وتوصل البحث إلى عدد من النتائج منها إن النظام القبلي في الحجاز فرضته البيئة القاسية، وعدم وجود نظام سياسي موحد ولم يعرف العربي قبل الإسلام الانتماء والولاء لمجتمع اكبر من قبيلته، وأكثر العوامل أثراً في الصلات بين القبائل هو العامل الاقتصادي والثأر واضعف العوامل هو الدين والسياسة الخارجية. وأفضل الوسائل للإصلاح والتقريب بين القبائل هي المصاهرات والديات، وان أكثر الصلات السيئة بين القبائل في الغالب تحدث لأسباب بسيطة ولكن من جراء العصبية القبيلة تتطور إلى عداء وحروب بين القبائل لا سيما وأن أكثر الأيام تحدث بين بطون القبائل ولا تشترك فيها القبائل الكبيرة إلا نادرا. ومعظم الأيام والتحالفات تكون بين القبائل المتجاورة في منازلها جغرافيا، وأن اغلب التحالفات السياسية بين القبائل تتكون بحسب مصالح الفرقاء وواقعية المنحى لتفادي خسارة المعارك ولفترة قصيرة فضلاً عن ان هذه القبائل لا تجعل النسب إلى عدنان أو قحطان أساس للتحالف أو القتال بل قد تتحالف قبيلة قحطا نية مع أخرى عدنانية ضد قبيلة قحطانية أو بالعكس، ولم تكن سياسة أي قبيلة في الحجاز ثابتة وواضحة تجاه القبائل الأخرى بل اغلب سياسات تلك القبائل تتحكم فيها الظروف الطارئة، باستثناء قبيلة قريش التي كانت سياستها واضحة وثابتة على طول الخط ومع جميع القبائل.

العوامل المؤثرة في صلات القبائل العربية مع بعضها قبل الإسلام

إن النظام السياسي في القبيلة العربية بشكل خاص وفي الجزيرة العربية بشكل عام لم يخضع لسلطان دولة ولم يكن له نظام موحد يسير عليه ويتبع قواعده وكان لطبيعة معيشتهم وقسوتها الأثر البالغ في ذلك.

ولطبيعة حياتهم المتمثلة بالطبيعة القاسية وقلة الموارد الاقتصادية الضرورية للحياة وتعذر تحقيق الاكتفاء الذاتي في القبيلة الواحدة وعدم استغناء الجماعات القبلية عن بعضها البعض قد دفعت هذه القبائل لإقامة صلات حسنة فيما بينها حيناً وعدائية حيناً آخر(1). وكان لقوة القبيلة وشدة مراسها وقدرتها على الغزو الأثر البالغ في رسم صورة صلاتها مع القبائل الأخرى.

ورغم ذلك فأن استخدام هذه القوة كان يحده التقيد بالأعراف والتقاليد والأحكام القبلية، ولأن حياة هذه القبائل قد طُبعت بطابع الغزو والإغارة فان كل واحدة منها معرضة للسبي والأسر والقتل لذلك كان لزاماً عليها إن كان لها النصر أن تتقيد بهذه الأعراف وإلا تعرضت للمعاملة بالمثل إن دارت عليها الدوائر، وسنبحث عن العوامل المؤثرة في الصلات بين القبائل بحسب أهمية هذه العوامل وهي كالآتي:

أولاً- العامل الاقتصادي:

كان العامل الاقتصادي ولا يزال من أهم العوامل التي ترسم طريق السياسة ليس للقبائل فحسب بل للدول الكبرى كذلك وبالنسبة للقبائل العربية فان هذا العامل يتمثل باتجاهين أساسيين: الأول يشمل المنافسة للحصول على الماء والمراعي الخصبة والثاني حالات الإغارة والغزو من أجل الحصول على الغنائم، وبذلك فأن للبيئة وقلة الموارد أثر كبير في طبيعة تلك الصلات(2)، والذي ينظر لحياة العرب قبل الإسلام لاسيما سكان البادية يرى أنهم قد أُجْبِروا على خوض الحروب بسبب شظف العيش وقلة مورده بحيث أصبح الغزو والغارة على الآخرين شيئاً مألوفاً(3)، لا سيما ان حدود القبيلة أو حماها لم تكن محددة بصورة دقيقة(4)، بل كان تعيين الحدود بين منازل القبائل بالظواهر الطبيعية البارزة مثل التلال والأودية والجبال وغيرها(5)، مما زاد في إرباك الوضع وتوتر الصلات بين القبائل.

---

(1) النص، إحسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، بيروت، ص81 .

(2) خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص90.

(3) معاليقي، منذر، صفات مطوية من تاريخ عرب الجاهلية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1995م، ص56؛ النص، العصبية القبلية، ص74.

(4) سليم، احمد أمين، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، دار المعرفة، الجامعية، الإسكندرية، 2009م، ص303.

(5) ينظر: اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص15 وما بعدها؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، 1990م، ص25 وما بعدها؛ البكري عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت ج1، ص15 وما بعدها.

وعلى الرغم من ذلك فلم تكن حياة القبائل البدوية ارتحالاً مستمراً أو ضرباً في الأرض على غير هدى وإنما كان لكل قبيلة منازلها ومراعيها التي ترتادها في كل عام ومياهها الخاصة بها(1)، وكل قبيلة تحامى قدر الإمكان النزول في مراع القبائل الأخرى اتقاء لنشوب نزاع حربي، فالبداوة إذن هي نمط من الحياة شبه منظم يلاءم مقتضيات البيئة التي يعيشون فيها(2)، وغالبا ما تسوء الصلات بين القبائل أيام القحط والجفاف، وفي هذه الأيام تتغلب القبائل الغنية على القبائل الفقيرة(3)، وكانت قد توالت على العرب قبل الإسلام سنون عجاف أصابت العرب فيها بالجوع وسوء الحال(4)، وخير مثال على أثر التقاتل على الماء والكلأ في الصلات بين القبائل هو أن الماء كان أحد المحاور الكبرى لثمانية عشر يوماً من أيام العرب وارتبطت ارتباطا وثيقاً بأسماء مواضع المياه أو نسبت إليها بسبب إصرار كل قبيلة للاستئثار بمنبع الماء أو الاحتماء به قبل المعركة(5).

فالماء والكلأ عاملان أساسيان في تكوين الصلات بين القبائل العربية في الحجاز قبل الإسلام لأن التحكم في الماء في تلك البيئة القاسية يمثل أحد مظاهر القوة للقبيلة وهذه القوة كثيراً ما دفعت أصحابها إلى التسلط على القبائل الأخرى(6)، بل وصل الأمر إلى قيام تحالفات بين القبائل هدفها السيطرة على منابع الماء واغتصابها من أصحابها أو استرجاعه من غريم قوي(7)، إلا أن هذا النوع من التحالفات مؤقت في الغالب فمتى انقضت المصلحة أو تلكأ أحد الطرفين في تنفيذ شروطه انفض الحلف(8).

---

(1) النص، العصبية القبلية، ص56.

(2) المصدر نفسه، ص56.

(3) بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية، ط5، ترجمة، نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.، ص20 .

(4) الجميل، محمد بن فارس، الأطعمة والأشربة في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، مطبعة مجلس النشر العلمي، الكويت، 1997م، ص26؛ عبد الرحيم، محمد، ديوان حاتم الطائي، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2008م، ص46.

(5) ينظر: ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، تح: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م، ج1، ج6، ص8 وما بعدها؛ أبن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتّاب العربي، بيروت، 2006م، ج1، ص454 وما بعدها.

(6) سلامة، عبد الحميد، قضايا الماء عند العرب قديماً، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص99.

(7) مثال ذلك التحالف الذي حدث بين بني مازن مع بني يربوع من أجل اقتسام ماء الوقبى ومنع بكر من الوصول إليه ثم تطور الأمر إلى قيام حرب بين بني مازن وبني يربوع انتهى بانتصار بني مازن واستيلاءهم على الماء. ينظر: سلامة، قضايا الماء عند العرب، ص100.

(8) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبيل الإسلام، أوند دانش، د . م، 2006م، ج1، ص406.

وقد تسمح قبيلة لأخرى بارتياد مراعيها معها مما يحّسن الصلات بينهما إلا أن ذلك في الغالب لن يدوم طويلا حتى ينشب النزاع بين الطرفين[1]، والسائد أن كل قبيلة تدافع عن أرضها ومنابع مياهها وهي مستعدة لسفك دم كل من يتعرض لها[2]، وبلغ من قوة أثر هذا الأمر في نهاية عصر قبل الإسلام ومجيء الإسلام أن تطلب تشريعاً إسلامياً لتنظيم أمور الماء والكلأ ومنع التقاتل عليهما ومنها قول الرسول محمد[3] (ﷺ): ((الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار)).

والقبائل في ذلك كله قبل الإسلام تحترم القوي وقوة القبيلة أحد أهم المرتكزات الأساسية في تحديد صلاتها مع القبائل الأخرى فأن حماها محمية من قبل فرسانها ولكنها مقابل ذلك تغير على القبائل الأخرى الأضعف منها وتستولي على أنعامها وترعى في أرضها ومراعيها وجاء ذلك بقول[4]النابغة الذبياني[5]:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له   وتتقي مربض المستنفر الحامي

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص540-541.

(2) ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، سليمان زاده، قم، 2006م، ص60؛ سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، ج1، ص303.

(3) الشافعي، محمد ابن إدريس، كتاب الأم، ط4، دار الفكر، بيروت، 1983م، ج4، ص3؛ أبي عاصم، أبي بكر بن أحمد بن عمرو، كتاب الديات، تح: عادل حسن علي، مؤسسة المختار، القاهرة، 2005م، ص ص60-62؛ السرخسي، شمس الدين، المبسوط، تح: محمد الشيباني وآخرون، دار المعرفة، بيروت، 1985م، ج2، ص212؛ النراقي، أحمد بن محمد المهدي، مستند الشريعة في أحكام الشيعة، تح: مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، مشهد، 1984م، ج14، ص307.

(4) الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج2، ص605؛ القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1985م، ج2، ص29؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1984م، ج4، ص105؛ المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط3، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، ج4، ص280؛ الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ج3، ص77؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ج3، ص41.

(5) هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ من ذبيان الغطفانية. ينظر: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1999م، ص ص252-253.

ومن الشائع في ذلك الوقت بأن من لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم[1]، أما عن مسألة الغزو والغارة على القبائل الأخرى وأثرها في الصلات بين القبائل فيلخصها ابن خلدون[2] بقوله: ((العدوان أكثر ما يكون... من الساكنين بالقفر كالعرب... وأشباههم لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما في أيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وإنما همهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم)).

وقيل:[3] إن الذي دفع العرب لذلك هو لأن العمل في تلك البيئة الشاقة أصبح غير مثمر لاسيما في حياة البدو فحياتهم تعرف الكدح الكثير ولكنها تضيع ثمرته.

وبذلك فيمكن اعتبار الإغارة في سبيل الغنيمة ضرورة من ضرورات الحياة ألجأتهم إليها قسوة طبيعتهم وقلة الخيرات وأسباب الرزق في بيئتهم وهو صورة من صور تنازع البقاء في مجتمع فقير تتنافر وحداته ويسعى كل واحد منها لتحقيق منفعته الذاتية[4]، وهذا يوافق رأي الآلوسي[5] بأن أرزاق العرب قبل الإسلام كانت في رماحهم ومن منعهم ذلك آذنوه بالحرب، في حين يرى حتي[6]: أن حب القتال استولى على نفوس أهل البوادي وأصبحت الغارة نموذجاً للأعمال الرجولية ولم يقتصر ذلك على الأعداء بل على القبائل المتقاربة.

وبالغت المستشرقة نينا[7] بوصفها تأصل عادة الإغارة في نفوس العرب بقولها: ((أنها أصبحت حرفة أسوة بغيرها من الحرف، بعد أن كانت تشن من أجل الحصول على الأراضي الصالحة للرعي وسد حاجات القبيلة الأساسية وتوفير علف لحيواناتها))، وبلغ من قوة أثر العامل الاقتصادي بين القبائل من أن بعضها كان يدخل في حلف مع طرف آخر ليس لعداوة للقبيلة المقابلة بل من أجل

(1) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط2، تح: مؤسسة الوفاء، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م، ج32، ص404؛ الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، تح: حسن بن علي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1998م، ج3، ص459.

(2) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، مقدمة أبن خلدون، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج1، ص271.

(3) خليف، الشعراء الصعاليك، ص71.

(4) العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2003م، ص195؛ النص، العصبية القبلية، ص81 .

(5) محمد شكري الالوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تح: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، 2009م، ج2، ص55.

(6) تاريخ العرب، ص53.

(7) بيغوليفسكيا فكتورفنا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة، صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي، الكويت، 1985م، ص292.

الحصول على الغنيمة فقط[1]، وتعدى الأمر في ذلك للقتال بين بطون القبيلة الواحدة من أجل الغنيمة[2]، والقبائل العربية بصورة عامة كانت تحب أن تكون ظالمة غير مظلومة فقد شاع عند بعظهم قبل الإسلام قول: ((رهبوت خير من رحموت))[3].

ثانياً- العامل الاجتماعي

أ- الثأر:

ذكرنا بأن ما تسير عليه القبائل في صلاتها مع القبائل الأخرى هو مجموعة من الأعراف والأحكام والتقاليد، والثأر أحد أقوى هذه الأعراف وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعامل الاقتصادي حيث تُخَلِفْ عمليات التقاتل على الماء والكلأ والإغارة من أجل الغنيمة قتلى ودماء بين القبيلتين وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى توتر الصلات بين القبائل المتناحرة ويؤجج الصراع بينها حتى يصل إلى المغالاة في سفك الدماء[4].

والذي جعل للثأر هذا التأثير في رسم شكل الصلات بين القبائل هو انعدام السلطة الموحدة أو القانون الجنائي فمن يقتل له أخ أو قريب فعليه أن يثأر له بنفسه[5] أو مع قبيلته وفي كثير من الأحيان الأحيان فأن الثأر يتولد عنه الرغبة في الانتقام ومن ثم ثأر جديد[6]، وفي مثل هذه الحالات قد يستمر

---

(1) الواقدي، محمد بن عمر المغازي، تح: مارسدن جونسن، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، 1997م،، ج1، ص477؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، المعارف، تح: ثروت عكاشة، شريعت، قم، 2007م، ص ص603-604؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص518.

(2) البكري، معم ما استعجم، ج3، ص 92، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 579.

(3) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، التوحيد، تح: هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1967م، 1967م، ص210؛ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، نشر الكتاب، قم، 1983م، ص204؛ ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 436؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج4، ص 200؛ الجزائري، نعمة الله الموسوي، نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين، تح: السيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1996م، ج1، ص 502.

(4) من ذلك ما فعلته قبيلة أشجع ببني عامر بن صعصعة في يوم الرقم حيث ذبحوا منهم سبعين أسيراً لوقعة أوقعتها بنو عامر بهم. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 573. وكذلك بالغ بنو تميم في الأخذ بثأرهم من بني عبد يغوث في يوم الكلاب الثاني. ينظر: البصري، معمر بن المثنى التيمي، نقائض جرير والفرزدق، ط2، تح: محمد احمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ج2، ص ص 111-114؛ إبراهيم، محمد أبو الفضل، البجاوي، علي محمد، أيام العرب في الجاهلية، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص ص124-128.

(5) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص19؛ حتي، فيليب، وآخرون، تاريخ العرب، ط12، تح: جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت، 2007م، ، ص55.

(6) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص19؛ عبد الله، شهلة برهن، الدعوة الإسلامية وحياة البداوة منذ البعثة وحتى حروب الردة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م، ص27.

يستمر العداء سنين طويلة تتجدد فيها المنازعات وتُسفَك فيها الدماء[1]، والعرب في طلبهم للثأر يختارون في بغيتهم أن يكافئ دم المقتول بدم من قتله في المنزلة والدرجة والمكانة، فدم السيد لا يكافئه إلى دم سيد مثله، وغاية الأمر في ذلك ردع سادات القبائل عن تحريض العبيد أو غيرهم على قتل خصومهم وأعدائهم وبذلك فهو عنصر ردع للحد من غلواء البعض وتقييد لنزعاتهم واندفاعاتهم العدوانية[2]، ويرى ابن خلدون[3] بأن الحروب التي تقوم على الثأر في الأغلب تكون بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناحرة، وبلغ من قوة الثأر في نفوس الأعراب قبل الإسلام إن قيل لأحدهم: ((أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسيء إلى من أساء إليك ؟ فقال : بل يسرني أن أدرك الثأر وأدخل النار)) [4].

وفاق أثر الثأر في الصلات بين القبائل على اثر الدين والشاهد على ذلك حدوث حروب وأيام بسبب الثأر في (الأشهر الحرم)[5] على الرغم من أن الكثير من القبائل كانت تُحَرِّم القتال في هذه الأشهر[6]، الأشهر[6]، وكانت عملية المطالبة بدم المقتول منوطة بالدرجة الأساس برأس سيد القبيلة يقف وراءه جميع أفراد قبيلته[7] ليس الرجال فقط بل حتى النساء حيث كُن في الغالب يحرضن أفراد قبيلتهن ويُعيِّرنَ القاعد والمتقاعس[8]، ولا يقتصر الأمر في هذه المسألة على المطالبة بدم من يُقتل منها بل أنها أنها تهب للدفاع عن أي فرد من أفراد قبيلتها إن قام بالاعتداء وقتل شخصاً من قبيلة أخرى سواء كان على حق أم باطل فقد شاع عندهم قول: ((أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))[9]، والذي دعا القبائل وأفرادها للتمسك بأخذ الثأر إضافة إلى ما ذكرناه سابقاً هو سيادة الاعتقاد عندهم بأن

(1) اليوزبكي، مؤيد، البطولة في الشعر العربي قبيل الإسلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2008م.، ص88.

(2) اليوزبكي، البطولة في الشعر العربي، ص88 .

(3) المقدمة، ج1، ص 271.

(4) النويري، نهاية الأرب، ج9، ص 62.

(5) كان العرب قبيل الاسلام يحرمون القتال في أربعة أشهر ويسمونها الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة الحجة والمحرم. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج8، ص 241، وسمى العرب الحروب التي حدثت في هذه الأشهر بحروب الفجار. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 523.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص 527 – 532؛ يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007م، ص307.

(7) دلو، برهان الدين، جزيرة العرب قبيل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، 2007م، ص165؛ النص، العصبية القبلية، ص122.

(8) النويري، نهاية الأرب، ج9، ص 62؛ يحيى، العرب في العصور القديمة، ص307.

(9) الفراهيدي، الخليل بن احمد، كتاب العين، ط2، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطبعة الصدر، النجف، النجف، 1988م، ج7، ص8؛ ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد، المحلى، تح: احمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج11، ص90.

الشخص إذا قُتِلَ ولم يؤخذ بثأره فأن طائراً يخرج من رأسه يسمى(الهامة) [1] ويظل يصيح أسقوني حتى يُؤخذ بثأره[2]. وبذلك فيمكن القول بأن الثأر عند الجاهليين كان قد أضحى شريعة وقانوناً وقائياً لابد منه لأنه وسيلة رادعة يشعر البدوي في ظله بالأمن ويجعل القبيلة لا تغالي في عدائها للقبائل الأخرى، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت بعض القبائل تغالي في إظهار عداوتها للقبيلة التي لها فيها ثأر، تصل لدرجة قتل الأطفال[3]، والتمثيل بجثث القتلى[4].

ومما سبق ذكره نجد بأن لمسألة الثأر أثر كبير في صلات القبائل مع بعضها البعض لدرجة أنه كان في نهاية عصر الجاهلية وبداية الإسلام يهدد النظام العام لذلك نجد الإسلام يعالج هذه المسألة الخطيرة كما عالج غيرها من المسائل السلبية فقد جاء في معنى قول الرسول المصطفى محمد (ﷺ) في (حجة الوداع) [5] أنه قد وضع جميع الدماء والثارات التي كانت في الجاهلية فلا يحق لأحد أن يطالب فيها[6].

ب-الديّات:

من العوامل الجيدة التي اتخذتها القبائل العربية لتحسين صلاتها مع بعضها البعض وإطفاء ثائرة الحرب وسفك الدماء هي مسألة الدية[7]، وقيل أن (عبد المطلب) [1] أول من جعل دية القتيل مائة

---

(1) الهامة: قيل أن الدماغ هو الهامة أو أعلى الرأس. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج10، ص207.

(2)الربيعي، فاضل، شقيقات قريش، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2002م، ص92.

(3) من ذلك ما فعلته فزاره عندما قامت بقتل أطفال قبيلة عبس الذين كانوا عندهم رهناً طلباً لثأرهم رغم صلة القرابة التي تربط القبيلتين فكلاهما من غطفان. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 519.

(4) الزبيدي، تاج العروس، ج2، ص 453.

(5) حجة الوداع: هي آخر حجة حجها، رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) سنة 10 هـ . ينظر: ابن حبيب، محمد بن حبيب، المحبر، مطبعة دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، م، د. ت، ص12.

(6) أبي عاصم الديات، ص98؛ ابن حبيب، محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، تح: خورشيد أحمد فاروق، عالم عالم الكتب، بيروت، د . ت، ص197.

(7) وذكر الكلبي بأن أول دية كانت في العرب هي مائة من الإبل دفعها أسد بن خزيمة عندما قتل أخوه مالك أخوه الأخر من أمه علي بن مسعود. ينظر: ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، تح: ناجي، حسن، عالم الكتب، بيروت، 2004م، ص135.

مائة من الإبل بعد كانت عشرة[2] وقيل أن (عامر بن الضرب العدواني) [3] هو الذي جعل الدية مائة من الإبل بعد أن كانت مائة جدي[4]، وبلغ من محاسن هذه العملية في تحسين العلاقات بين القبائل أن أقرها الإسلام في شريعته السمحاء بعد أن أجرى بعض التعديلات عليها بأن جعلها متساوية فلا فرق بين إنسان وآخر[5]، بعد أن كان العرب قبل الإسلام يفرقون بين الناس بالديات، فكانت دية الحليف نصف دية ابن القبيلة الصريح[6] وبعضهم جعل دية الصريح عشرة من الإبل ودية الحليف خمسة منها[7]، ومع ذلك وما للدية من محاسن في إطفاء نار الحروب إلا أن أغلب القبائل كانت ترفض أخذ الدية[8]، لأن من يقبل الدية يعد في نظرهم ضعيفاً غير قادر على الأخذ بثأره[9]، فأصبح في عرفهم أن الدم لا يغسله إلا الدم[10].

وكثيراً ما كانت تفشل الجهود التي تبذلها بعض الأطراف من أجل ردم الصدع وتحسين العلاقات بين القبائل[11]، والبعض منهم كان يشترط لقبول الدية شروطاً تعجيزية[12]، وفي الغالب فان مسألة قبول الدية تكون في حالة وجود الأسرى مثلاً وعدم وجود ثأر أو في أحوال معينة كوضع حد لحرب

(1) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي جد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر: الزبيري، المصعب بن عبد الله المصعب، كتاب نسب قريش، تح: إ. ليفي بروفنسال، شريعت، قم، 2007م، ص ص1-17.

(2) أبي عاصم، الديات، ص 10 .

(3) هو عامر بن الضرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان من حكام العرب قبيل الإسلام. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص243.

(4) المصدر نفسه، ص264.

(5) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص ص111-112.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص 46.

(7) التوحيدي، أبو حيان، الامتناع والمؤانسة، تح: أحمد أمين و أحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ج2، ص 27.

(8) ابن عاصم، الديات، ص144؛ التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 28.

(9) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 516؛ الآلوسي، بلوغ الأرب، ج3، ص20.

(10) الزبيدي، تاج العروس، ج1، ص46.

(11) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص 516 – 518.

(12) مثال ذلك ما يسمى التعقيقة، وهو أن أولياء المقتول يقولون نأخذ سهماً فنرميه نحو السماء فإذا رجع مضرجاً بالدم فأمرنا أن نأخذ الدية وإذا نزل كما صعد فقد نهينا عن ذلك. للمزيد ينظر: الآلوسي، بلوغ الأرب، ج3، ص ص1-20.

طال أمدها[1] أو حقناً لدماء حيين من قبيلة واحدة[2] أو عجز عن إدراك الوتر من قوم القاتل[3] وكان هناك مجال آخر لتحسين الصلات بين القبائل ودفع الحرب وهو تسليم القاتل طوعاً إلى أولياء المقتول ليقتلوه وعندئذ لا يبقى مجال للثأر ولكن هذا ما كان ليحدث إلا نادراً لأن ذلك يعتبر وصمة عار للقبيلة فهي تُفضل أن تقتل الجاني على أن تسلمه طوعاً فيلحق بها العار[4]، وكانت بعض القبائل وحرصاً منها على سلامة أفرادها وعدم الدخول في حروب مع القبائل الأخرى أو لعدم قدرتها على مواجهة القبائل الأخرى تقوم بخلع فرد ما منها إذا كثرت جرائمه لأنه يؤدي إلى كثرة أعداء القبيلة[5].

ت- الإجارة[6] وحماية الجار:

وهذا العامل من العوامل التي فرضتها الطبيعة القاسية مثله مثل من سبقه من العوامل، لأن المسافر في الصحراء يحتاج أن جنّ عليه الليل أو دهمه خطر بأن يجيره أحد وإلا فأن التنقل في الصحراء يصبح من الأمور المستحيلة وبما أن الجميع معرضون لمثل هذا الموقف وحتى يعامل بالمثل ولغيره من الأسباب شاع نظام الإجارة وحماية الجار قبل الإسلام وأصبح من الأمور التي لها أثر في توجهات القبائل وتحديد سياستها تجاه القبائل الأخرى، وحق الجوار لا يقتصر على شخص معين في القبيلة بل هو حق لجميع أفرادها وأن أجار شخص ما شخصاً آخر أصبحت قبيلته ملزمة بحمايته وحفظه[7] والنساء من أبناء القبيلة شانها شان الرجال لها حق الإجارة[8]، والجوار يتم وفق تقاليد متعارف عليها كأن يستظل بخبائه أو يمسك طرف خيمته أو ثوبه أو أن يأكل من طعامه[9]، والعرب تقول: ((لا يكون الجوار

(1) مثال ذلك الصلح الذي حدث بين عبس وذيبان حين اصطلحوا على دفع الدية بعد أن طال أمد الحرب بينهم وأضعفتهم. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص 509 – 522.

(2) للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص583-603.

(3) النص، العصبية القبلية، ص83.

(4) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص19.

(5) ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن محمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، ، ج12، ص 213؛ الزبيدي، تاج العروس، ج5، ص 6.

(6) هي حماية شخص لآخر استجار به ولجأ إليه فيعطيه عهداً وذمة فيكون جاره يجيره ويحميه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص 113

(7) الفراهيدي، كتاب العين، ج4، ص254؛ ضيف، العصر الجاهلي، ص61.

(8) كما أجارت ريطة بنت جندل دريد بن الصمة، وجماعة بنت عوف بن محلم الشيباني التي أجارت مروان بن زنباع زنباع العبسي. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص 34.

(9) النص، العصبية القبلية، ص ص86-87.

جواراً حتى تبلغ جارك مأمنه أو تقتل دونه)) [1]، وكانت العرب تعيب من لم يحمي جاره ويغفر ذمته[2].

والصلة بين الجار والمجير تختلف وفقاً لتعهد المجير لمن استجار به فكانت الإجارة مؤقتة أحياناً ودائمية بل وراثية حيناً آخر، وفي بعض الحالات كان المجير يتعهد بأن ينصر جاره على عدو معين فقط وفي حالات أخرى كان يتعهد بإجارته من كل الأعداء[3]، وبذلك فيعد هذا العرف مفخرة من المفاخر التي يفتخر العرب بها فيقال فلان منيع الجار أو حامي الجار[4] ويتغلب الجوار في بعض الحالات على عامل الدين فيجير أحدهم شخصاً آخر وأن عارضه في معتقده الديني وأن كانت بينهما خصومة أو عداوة[5]، وللعرب في حفظ الجوار صور تثير العجب والدهشة تصل إلى حد أن يقتل أحدهم أخاه وفاءً لجاره[6] أو أن يُقتل ابنه أمام عينه فلا يغفر ذمته[7]، ولهذا العامل أي الجوار أثر كبير في توتر العلاقات بين القبائل يصل في بعض الأحيان لحد القطيعة بل الدخول في حرب وتعريض القبيلة للقتل والسبي[8].

---

(1) أبي تمام، نقائض جرير والأخطل، تح: أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص11.

(2) الفراهيدي، كتاب العين، ج4، ص 254.

(3) خليف، الشعراء الصعاليك، ص96.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص106؛ التيمي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح: محمد الحسيني ألجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت، ج2، ص383؛ الطبرسي، حسين النوري، خاتمة مستدرك الوسائل، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ستاره، قم، 1995م، ج3، ص232.

(5) كما فعل المطعم بن عدي وهو لا يزال جاهلي لم يدخل الإسلام حين أجار رسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عند عودته من الطائف مع ما كان بينهما من الاختلاف في الدين والمذهب. ينظر: ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تح: سهيل زكار، دار صادر، بيروت، 2005م، ج3، ص702؛ البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار، تح: غلام رضا، بهمن، قم، 1990م، ج1، ص345؛ العاملي، جعفر مرتضي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ط4، دار الهادي، بيروت، 1995م، ج3، ص267.

(6) السكري، الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تح: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م، ج1، ص 242؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، قم، د. ت، ص209.

(7) كان السموأل بن عاديا وهو من الأوفياء قد رفض أن يغفر ذمته وأن يسلم الأمانة التي أودعها عنده امرؤ ألقيس للحارث بن شمر الغساني وهي مائة درع بالرغم من أن الحارث قد هدده بقتل ابنه ونفذ تهديده إلا أن السموأل رفض إعطائه الأمانة التي عنده. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 469.

(8) فقد كانت معركة ذي قار بسبب إجارة هاني بن مسعود الشيباني أهل النعمان بن المنذر وأمواله واشتركت في هذه هذه المعركة عدة قبائل عربية منهم قوم أياس بن قبيصة الطائي وبني شيبان. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص441-442.

وإن من القبائل من تنقسم على نفسها بسبب مسألة الجوار فيخرج منها بطن ويحالف قبيلة أخرى(1)، بل قد تتعداها إلى القتال بين بطون القبيلة الواحدة كما حدث في حروب الأوس والخزرج التي كان سببها قتل أحد جيران مالك بن العجلان الخزرجى من قبل رجل من الأوس(2).

وكانت بعض القبائل ترد طلب اللجوء إليها عندما تجد نفسها غير قادرة على حماية من طلب ذلك، حتى لا يلحقها العار إن قُتل في جوارها، أو لأن هذا الجوار قد يجرها إلى حرب لا طاقة لها بها، فتؤدي إلى إنهاكها سياسياً واقتصادياً، كما رفضت قبائل العرب إجارة خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة(3) خشية من قوة عبس(4) وبطشها(5)، إلا أن بعض العرب بالغ في مسألة الجوار حتى كان يجير الشخص من أهل الأرض والسماء(6) بل أن منهم كان من يجير الطير(7) وهذا مدلج بن سويد سويد الطائي يجير الجراد من قومه ويأخذ سلاحه ويخرج وهو مستعد لقتل أي شخص منهم إن تعرض للجراد مادام في فناءه حتى غلب عليه لقب مجير الجراد(8)، والجوار أحد الأمور التي أقرها الإسلام في

(1) مثال ذلك هو خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس إلى أزد شنوءة في السراة بسبب أن بني أخته كانوا قد قتلوا كلبةً لجاره وكانوا أكثر منه عدداً وقوة. ينظر: الجاحظ، عمر بن بحر بن محبوب، كتاب الحيوان، تح: إيمان الشيخ محمد وغرير الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 2008م، ج1، ص202.

(2) للمزيد، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص583–587.

(3) خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة، من قادة قبيلة هوازن القحطانية قبيل الإسلام ومن الذين عُرفوا بالشجاعة وهو قاتل زهير بن جذيمة العبسي. ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص249.

(4) عبس، هم بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. ينظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ص413-440.

(5) للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص500–504؛ الكناني، نهلة عبار لازم حسين، قبيلة عبس عبس ودورها في التاريخ الإسلامي دراسة في أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية قبيل الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 200م، ص79.

(6) طلب الشاعر الأعشى أن يجيره أحد من أهل الأرض والسماء فأعطاه عامر بن الطفيل سيد هوازن ذلك فقيل له، لقد أجرته من أهل الأرض فكيف تجيره من، أهل السماء؟ فقال، إذا مات وهو في جواري دفعت ديته لأهله. ينظر: عبد الرحيم، محمد، ديوان عامر بن الطفيل مع السيرة والأقوال والنوادر، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص ص39-40.

(7) قام رجل من عرينه بن نذير بن قسر بن عبقر بحماية حداة مرت بمنازل قومه فعرفت به ثم لبثت حيناً فوجدت ميتة وفيها سهم من بني أفصى بن نذير بن قسر من بجيلة فقام صاحب الحداة بقتل الذي قتل الحداة، فتقاتل الحيان بسبب ذلك. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص56.

(8) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988م، ج3، ص428؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة المرعشي النجفي، النجف، د. ت، ج3، ص275؛ القمي، عباس، الكنى والألقاب، تح: محمد هادي الأميني، ستاره، قم، د. ت، ج3، ص152.

تعاليمه وهذا الدين لا يقر شيئاً من أمور الجاهلية إلا إذا كان له أثر طيب وفيه نفع للإنسانية وللمجتمع الإنساني.

ث-المصاهرات:

للمصاهرات دور كبير في تحسين العلاقات بين القبائل العربية حتى اتخذه البعض وسيلة سياسية لكسب القبائل لذلك لجأ رؤساء القبائل للزواج من بنات سادات القبائل من أجل شد عضدهم ومؤازرتهم(1)، وذكر الآلوسي(2): ((كان من مقاصد العرب قبل الإسلام في الزواج والمصاهرات من من القبائل الأخرى اجتذاب البعداء وتأليف الأعداء حتى يرجع المفاخر مؤانساً والعدو موالياً، وقد يصير للصهر بين الاثنين ألفة بين القبيلتين))، ومن العرب من اعتقد بأن الزواج من الأباعد أدعى لإنجاب النجباء من الأبناء لذلك مالوا للزواج من خارج قبيلتهم(3)، ومنهم من ذهب إلى خلاف ذلك ذلك إذ كان يحقد على المرأة التي تتزوج من خارج قبيلتها لأنها برأيهم تدني البعداء وتلد الأعداء(4)، وبلغ من قوة أثر المصاهرات في رسم شكل صلات القبائل مع بعضها البعض بأنها كانت السبب في عقد بعض الأحلاف بين القبائل التي تكون بينها مصاهرة، فهذه عامر بن صعصعة(5) تدخل في الحلف الديني (الحمس)(6) مع قريش وكان الذي جر لهذا الحلف هو أن أم عامر بن صعصعة مجد بنت تيم بن مرة كانت قرشية(7)، ومن الأحلاف السياسية التي كانت من أسبابها المصاهرات هو حلف ثقيف مع (قيس عيلان)(8) لأن أم قيس بن منبه وهو ثقيف كانت من قبيلة قيس عيلان

---

(1) سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية، ج4، ص3؛ علي، المفصل، ج1، ص371.

(2) بلوغ الأرب، ج2، ص6.

(3) دلو، جزيرة العرب، ص502؛ العلي، تاريخ العرب القديم، ص177.

(4) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد، الملل والنحل، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2005م، ص389.

(5) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. ينظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ص312-313.

(6) اشتقاق الحمس من قولهم حمس الشر إذا اشتد وكل شيء قد اشتد فقد حمس والحمس قبائل من العرب تشددوا في دينهم منهم قريش وبنو عامر بن صعصعة وخزاعة. ينظر: ابن دريد، محمد بن الحسن، الاشتقاق، ط3، تح: عبد السلام محمد هارون، المدني، القاهرة، د. ت، ص50.

(7) البكري، معجم ما استعجم، ج4، ص 113؛ ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، تح: محمد محمد بن عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2008م، ج8، ص309.

(8) قيس عيلان: قال قوم إنما هو الياس بن مضر وأنه ولد قيساً ودهمان والأصح أنه قيس بن مضر ومن نسله جاءت قبائل عدة. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص243.

فوجودهم أحق بالحلف من غيرهم فحالفوهم[1]، وحالفت بنو سليم عبد مناف وجر لذلك الحلف لأنه أمه عاتكة بنت مرة كانت من بني سليم[2]، وذكر اليعقوبي:[3] بأن الذي جر لـ(حلف الأحابيش)[4] الأحابيش)[4] هو النسب والمصاهرة، وأن عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان هي التي جرت جرت للحلف، بينما ذكر الزبيري[5] بأن ريطه بنت عبد مناف كانت عند معيط بن عامر بن عوف بن بن الحارث بن عبد مناف بن كنانة وهي التي جَرَّتْ لحلف الأحابيش، ومن أكثر القبائل التي عنت بهذا الجانب هي قريش لأن مصالحها واعتمادها في اقتصادها على التجارة ومرور قوافلها بمضارب عدد من القبائل هو الذي دعاها لذلك[6] فتزوج هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب من قبيلة هوازن[7] وفرعها ثقيف[8][9]، وبعده صاهر ولده عبد المطلب[10] قبائل:

(1) ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر ألنمري القرطبي، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، تح: محمود هاشم المحمداوي، دار المرتضى، بغداد، 2009م ص87.

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص120؛ مؤنس، حسين، تاريخ قريش، دار المناهل، بيروت، 2002م، ص114

(3) تاريخ، ج1، ص ص241-242.

(4) لم يكن الأحابيش أبناء أب واحد أو أم واحدة بل هم مجموعة بطون اجتمعوا وكونوا تكتل قبيلي أطلق عليه اسم الأحابيش. ينظر: الزبيري، نسب قريش، ص9؛ ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق، كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، ط3، تح: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، 2006م.، ، ص467؛ معطي، علي محمد، تاريخ العرب السياسي قبيل الإسلام، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2004م، ص41. واكتسب الأحابيش اسمهم هذا بعد أن اجتمعوا وتحالفوا عند جبل يقال له حبشي فسموا بالأحابيش فهو لقب أطلق عليهم ثم أصبحوا ينسبون إليه فيقال لأحدهم حبشي. ينظر: ابن دريد، الاشتقاق، ص193؛ الميانجي، علي الأحمدي، مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، تح: مركز تحقيقات الحج، دار الحديث، د.م، 1998م، ج3، ص88 . وسكنوا في أطراف مكة وحالفوا قبيلة قريش. ينظر: أبن حبيب، المنمق، ص117.

(5) نسب قريش، ص15.

(6) عبد الكريم، خليل، قريش من القبيلة إلى الدولة، ط2، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1997م، ص82.

(7) هم بني هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان. ينظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ص311-312؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص264.

(8) أختلف النسابون العرب في أصل ثقيف فقيل هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن. ينظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص385؛ ابن قتيبة، المعارف، ص86. وثقيف اسمه قيس. ينظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص385؛ القلقشندي، احمد بن علي، نهاية الإرب في معرفة انساب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م، ص186. وقيل أن ثقيفاَ من بقايا ثمود، وقيل هم من إياد بن نزار بن مضر. ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص186. والراجح هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان. ينظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص385؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص266.

(9) الزبيري، نسب قريش، ص ص14 – 17؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ص130-131.

(10) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي جد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر: الزبيري، نسب قريش، ص ص1-17.

قبـائل: هوازن والخزرج[1] وخزاعة[2]وقضاعة[3][4]، وغير ذلك فقد كان لقريش مصاهرة مع قبيلة قبيلة فهم[5][6] وقد أشارت أغلب كتب الأنساب إلى أن التوجه العام لسادات القبائل هو المصاهرة المصاهرة مع بعضهم الآخر، فمن سادات قريش في الجاهلية هو صفوان بن أمية الذي صاهر ثقيف بزواجه من برزة بنت مسعود الثقفي[7]، وكان للقبائل الأخرى التوجه نفسه من أجل تحسين صلاتها مع القبائل الأخرى، فهذا صعصعة بن معاوية من هوازن صاهر قبيلة عدوان[8] بزواجه من ابنة عامر

(1) ابناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن أدد وهو الأزد بن الغوث بن النبت بن بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهم اولاد قيلة نسبوا إلى أمهم. ينظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ص615 – 621، ونزل الأوس والخزرج في يثرب بعد خروجهم من اليمن على إثر خراب سد مأرب. ينظر: ابن هشام، محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، 2004م، ج1، ص10؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص ص381-380؛، أبو البقاء هبة الله بن نما الحلي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تح: صالح موسى درادكة، محمد عبد القادر خريسات، مطبعة الشرق، عمان، الأردن، 1984م، ج1، ص ص99-91؛ السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن الحسن الخثعمي، الروض الأنف، تح: مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1، ص57؛ ابن النجار، محمد بن محمود البغدادي، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تح: محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص ص28–31؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2006م، ج2، ص282.

(2) خزاعة، من القبائل المختلف في أصل نسبها فجعلها ابن حزم مرة من العدنانيين بقوله، ((هم بنو خزاعة بن لحي بن عامر بن قمعه قمعه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان))، ثم جعلها مرة أخرى من القحطانيين. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ص480، ص ص329–331. وجعلهم القلقشندي من القحطانيين بقوله، هم أبناء عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقاء وعمرو هذا أبو خزاعة كلها ومنه تفرقت بطونها. ينظر: نهاية الأرب، ص228. وكان نزول خزاعة في الحجاز بعد هجرة الأزد من اليمن، وقيل سموا خزاعة لأنهم أنخزعوا عن قومهم ونزلوا الحرم. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص10؛ الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، تاريخ العرب قبيل الإسلام، دار الوراق، بيروت، 2009م، ص ص126-133؛ القلقشندي، احمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الابياري، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963م، ص58؛ ابن خلدون، العبر، ج2، ص234.

(3) هناك اختلاف في نسب قضاعة فقيل هو قضاعة بن عدنان وقيل قضاعة بن مالك بن حمير، وقيل قضاعة بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص440.

(4) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص28، 27؛ سعيد، محمد، النسب والقرابة في المجتمع العربي قبيل الإسلام دراسة الجذور التاريخية للإيلاف، دار الساقي، بيروت، 2006م، ص ص182-181.

(5) فهم: بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار . ينظر، ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص471.

(6) ابن قتيبة، المعارف، ص179.

(7) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2007م، ج7، ص 336.

(8) عدوان: بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار، ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص321.

بن الضرب العدواني(1)(2)، وصاهر بشر بن عبد دهمان وهو من سادات قبيلة ثقيف قريش بزواجه من من خالدة بنت أبي لهب(3) وجاء في الحديث عن (أم خارجة)(4) من قبيلة بجيله(5) بأنها كانت السبب في تحسين الصلات بل واندماج عدد من القبائل مع بعضها بزواجها من عدد كبير من الرجال ينتمون لعدد من القبائل العربية(6)، حتى ضرب المثل في سرعة زواجها فقيل(7): ((أسرع من نكاح نكاح أم خارجة)) ولم يقتصر الأمر على رؤساء القبائل في تحسين صلاتهم مع غيرهم بل تعداه إلى ملوك المناذرة فهذا النعمان بن امرؤ القيس(8) يصاهر قبيلة عبس القوية من أجل تحسين صلاتها معها(9).

وبالرغم من قلة موارد القبيلة واعتمادها بالأساس على أنعامها التي تعتمد بالدرجة الأولى في حياتها على خصب أرضها إلا أننا نجد إحدى القبائل تسمح لقبيلة أخرى بمشاركتها مراعيها بسبب مصاهرة كانت بينهما(10)، بل وبلغ أمر أثر المصاهرات في الصلات بين القبائل بأن تخرج القبيلة بعدة حربها وتعرض نفسها للخطر من أجل أن تنصر صهرها حتى على قبيلته نفسها، وهذا ما فعلته الخزرج عندما استغاث بهم عبد المطلب بن هاشم، لينصروه على عمه نوفل بن عبد مناف عندما غصبه حقه وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمر وبن زيد بن لبيد من الخزرج فلبس ثمانون رجلاً من الخزرج عدة حربهم وأقبلوا حتى دخلوا مكة، ووقفوا على رأس نوفل بن عبد مناف يطلبون منه أن يرد على ابن

---

(1) هو عامر بن الضرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان من حكام العرب قبيل الإسلام. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص243.

(2) الآلوسي، بلوغ الأرب، ج1، ص 312.

(3) ابن حبيب، المحبر، ص6.

(4) ام خارجة: هي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار. ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص398.

(5) بجيلة: هم بنو أنمار بن اراش بن عمرو من كهلان القحطانية. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب ص387، القلقشندي، نهاية الأرب، ص163.

(6) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص206.

(7) ابن حبيب، المحبر، ص398.

(8) هو النعمان بن المنذر بن الحارث ملك الحيرة. ينظر: السمعاني، الأنساب، ج5، ص 393.

(9) ابن حبيب، المحبر، ص203؛ الزر كلي، الأعلام، ج5، ص 249.

(10) كان بنو صاهلة من هذيل وبنو فهم متعادين يقتل بعضهم بعضاً وعندما أجدبت أرض فهم وكانت أرض هذيل قد أخصبت خرج أشراف فهم إلى هذيل وطلبوا منهم الجوار في المرعى حتى تخصب أرضهم فأبى قسم ووافق آخر، لكن الذي أدى إلى حسم الموقف والموافقة على طلبفهم هو أن أحد بني صاهلة واسمه خويلد بن المحرث بن الأشيم وآخر معه قد نالا نسب في فهم فعملوا على إجارة فهم لأنهم أصهارهم. ينظر: السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، ص274.

أختهم حقه وإلا فإنهم مستعدون لقتله وخوض حرب مع من يناصره[1]، إلا أن ذلك لا يعني بأن كل من له صهر في قبيلة أخرى قد ضمن وقوفها إلى جانبه، لأن هذا قد لا يحدث في بعض الأحيان لأن الأساس كما ذكرنا سابقاً هو مصلحة القبيلة أولاً فهذه قبيلة طيء وبالرغم من أن النعمان بن المنذر كان قد صاهرهم إلا أن طيء[2] ترفض إجارته عندما طلبه كسرى ملك الفرس خوفاً على مصالح القبيلة وأبناءها[3]، بل قد يتعدى الأمر ذلك فتجد حروباً وأياماً قد حدثت بين قبائل كان بينهم صلة نسب ومصاهرة[4].

ثالثاً- الشعر والشعراء:

للشعراء وما يقولونه من أشعار أثر كبير في تحديد ملامح الصلات بين القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، والذي دعا أن يكون للشعر هذا الدور أنه كان ديوان العرب وفيه أخبارهم وهو شاهد على صوابهم وخطئهم ولأنهم يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم[5]، فالشاعر هو لسان القبيلة الناطق بمحامدها والذائد عن حماها إذا ما تعرضت لهجاء شاعر آخر وَعَرَفَتْ القبائل للشعراء فضلهم، فكان إذا نبغ في القبيلة شاعر أتتها القبائل الأخرى فهنأتها واحتفى أبناء القبيلة بذلك كما يحتفون في الأعراس لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم[6]، والشعر في

(1) للمزيد عن ذلك، ينظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تح: دار الأميرة، الأميرة، بيروت، 2005م، ج2، ص11.

(2) طيء: هم بنو ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان، ينظر: القلقشندي، قلائد الجمان، ص72.

(3) ابن حبيب، المحبر، ص437؛ ابن منظور ن لسان العرب، ج4، ص 184؛ الزر كلي، الأعلام، ج3، ص113.

(4) مثال ذلك الحروب بين الأوس والخزرج، للمزيد ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القرآن، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1994م، ج1، ص559؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الفتح: جدة، 1980م، ج1، ص86، وكذلك الحرب بين عبس وذبيان للمزيد ينظر: ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري واخرون، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج10، ص399.

(1) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ج1، ص24؛ الدينوري، احمد بن داود، الأخبار الطوال، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت، ص301.

(5) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص24؛ ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 570؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ، ص301.

(6) ابن رشيق، كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، ص51؛ اللامي، كريم حسن الأمل واليأس في الشعر الجاهلي، دار الشؤون الشؤون العامة، بغداد، 2008م، ص73؛ النص، العصبية القبلية، ص ص61-62.

السابق هو بمثابة وسائل الأعلام في الوقت الحاضر، وبذلك فأن الشاعر يرى من واجبه أن يرد على كل من يتعرض لقبيلته بهجاء مثله أو أشد منه(1)، ويعد الشعر في تلك الحقبة من أمضى الأسلحة في حياة يغلب فيها القوي الضعيف لذلك نجد أن اعتزاز القبيلة بشاعرها أكبر من اعتزازها بالفارس الذي يحمي الحمى بسيفه(2)، والغالب على الشعراء آنذاك أنهم أبواق عدوان ودعاة شر وقلما نجد شاعراً في الجاهلية يدعو إلى السلم وينفر عن الحرب، وهذا واضح من قول ابن خلدون(3) في الشعر آنذاك:

لعن الله صنعة الشعر ماذا من صنوف الجُّهالُ منه لقينا

والشاعر يقف موقف المتعصب المغالي في عصبيته للقبيلة التي ينتمي إليها، فعندما كانت القبيلة تتلكأ في أخذ ثأرها من قوم لها عندهم وتر كان شعراء القبيلة يعيبون عليها هذا الموقف ويحرضونها بشعرهم على الطلب بالثأر والقتال ولا يزالون بهم حتى تدب الحمية في نفوس رجالها ويسارعون إلى الطلب بدم قتلاهم وكانوا يعيرون القبيلة أن هم قبلوا الدية(4).

وبلغ من أمر أثر الشعر في العلاقات بين القبائل العربية أن منه ما هدد النظام العام في شبه الجزيرة العربية لما له من وقع في نفوس الناس واهتمامهم وتأثرهم به(5)، لذلك كان العرب في ذلك العصر يتقون الشعراء اتقاءً شديداً(6)، حتى شاع عند العرب قول: ((طعن اللسان أمضى من طعن السنان)) (7)، لذلك عمدت بعض القبائل إلى منع شعرائها من هجاء القبائل الأخرى إذ لم يكن بينهم عداء(8)، ومنهم من كان يشد لسان الشاعر إذا أسره بنسعة(9)حتى لا يهجوه أو قبيلته أو يأخذون عليه العهود والمواثيق إن هم أطلقوا سراحه ألا يفعل ذلك(10).

---

(1) حتي، تاريخ العرب، ص139؛ النص، العصبية القبلية، ص16 .

(2) علي، المفصل، ج1، ص 375؛ اللامي، الأمل واليأس، ص73.

(3) المقدمة، ج2، ص ص 275-276.

(4) النص، العصبية القبلية، ص165.

(5) حتي، تاريخ العرب، ص139.

(6) الزركلي، الأعلام، ج5، ص 284.

(7) الواسطي، علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، تح: حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، د.م، 1985م، ص318؛ الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، مطبعة دار الحديث، د.م، 1982م، ج4، ص 278.

(8) الجمحي طبقات فحول الشعراء، ص ص 235-236.

(9) نسعة: سير منسوج يظفر على هيئة أعنة النعال. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج5، ص 523.

(10) كما فعلت تيم في يوم الكلاب الثاني حين اسروا عبد يغوث بن وقاص الحارثي وشدوا لسانه بنسعة حتى لا يهجوهم. ينظر: الباقلاني، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ط3، تح: احمد صقر، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص80؛ الزبيدي، تاج العروس، ج5، ص 523.

ولما يقوله الشعراء من شعر مضار ومحاذير فكثيراً ما كان التهاجي بين الشعراء ينقلب إلى وقائع دامية بين القبائل التي ينتمون إليها، بل كان التلاحي بين شعراء القبيلة الواحدة يؤدي أحياناً إلى وقوع الشر بين بطونها(1)، ويذكر الدكتور جواد علي(2) بأن القبيلة التي لم يكن فيها شاعر كانت تستأجر الشعراء لقول المدح والذم، ومن الأمثلة على توتر الصلات ونشوب القتال بسبب الشعر هو ما قاله شاعر طيء من شعر في هجاء عمرو بن هند ملك الحيرة فأثار غضبه وغزا قبيلة طيء وَنَكّلَ بهم(3)، وبدون شك فأن سبب أخذ القبيلة بما يقوله شاعرها لأنه كان لسانها أي أن هذا الشعر لا يكون فردياً بل أنه يمثل عموم القبيلة لذلك عليها أن تتحمل تبعات ذلك، وقد تناول الشعر مواضيع شتى فضلاً عن الهجاء والمدح والتفاخر، وأبرز ما تفاخر به الشعراء هو أصالة النسب ونبل المحتد وكثرة العدد والشجاعة في القتال وإباء الذل وغيرها من المواضيع(4)، وما يدل على أثر الشعر في الصلات بين القبائل هو أنه كان يكثر أيام الحروب ويقل عند القبائل التي تقل غزواتها وغاراتها(5)، وكانت العرب تعقد في أسواقها مكاناً يلتقي فيها الشعراء يلقون فيه أشعارهم ويتفاخرون ويتنافرون ومن أهم تلك الأسواق سوق عكاظ(6)، ومن تلك المجالس ما كان يعقد في مجالس ملوك الحيرة والشام(7)، وكان لملوك الحيرة في بعض الأحيان أهداف سياسية من عقد مثل تلك المناظرات الشعرية وهو إثارة القبائل على بعضها البعض من أجل إضعافها والسيطرة عليها(8)، وبصورة عامة فأن جميع أفراد القبيلة يهّبون مسرعين ليقفوا خلف شاعرهم شاعرهم إذا ما نافر أو فاخر رجلاً آخر من قبيلة أخرى(9)، ولم يكن جميع الشعراء دعاة شر ولم يكن الشعر باتجاه تأجيج الحرب وإثارة العداء بين القبائل فقط بل كان هناك تيار من الشعر ومجموعة من الشعراء يسعون إلى عكس ذلك وهو نبذ الحروب وإشاعة السلم وتحسين العلاقات بين القبائل المتناحرة، وخير من يمثل هذا التيار هو زهير بن أبي سلمى(10) الذي كان لا يهاجي في الكلام ولا يمدح الرجل

(1) العيثاوي، احمد حسين عبد، الأدب في الحيرة قبيل الإسلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد2008م، 35-143؛ النص، العصبية القبلية، ص166.

(2) المفصل، ج1، ص 375.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص 497-498؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج3، ص316.

(4) ابن حبيب، المنمق، ص386 وما بعدها؛ الآلوسي، بلوغ الأرب، ص ص275-276.

(5) وكان ذلك من أسباب قلة شعر مكة والطائف. ينظر: ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 259.

(6) عكاظ: من أسواق العرب المعروفة في الجاهلية بين نخلة والطائف. ينظرالبغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج2، ص953.

(7) الالوسي، بلوغ الأرب، ج1، ص ص275-276.

(8) العيثاوي، الأدب في الحيرة قبيل الإسلام، ص145.

(9) عبد الرحيم، ديوان حاتم الطائي، ص50-51.

(10) ينظر: ص4 من البحث.

إلا بما فيه(1)، ومن شعره(2) الذي يدعو فيه للصلح بين عبس وذبيان و يدعوهما إلى السلم ويمدح (هرم بن سنان)(3) و(الحارث بن عوف)(4) لسعيهما في الصلح وحمل ديات القتلى:

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم(5)

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم(6)

وكذلك (الأحوص)(7) الذي عمد إلى إطفاء نار الفتنة والخصومات الداخلية بين (بطون بكر)(8)، نخاطب أبناء عمومته بشعره(9) ألا يهيجوا الحرب وأن ينشدوا السلم والسلام ومن قوله:

بني عمنا لا تبعثوا الحرب بيننا كرد رجيع الرفض وارموا إلى السلم(10)

وعالج الإسلام الجانب السلبي من الشعر لما له من خطورة في تهديد النظام العام وإثارة الأحقاد والفتن، لأن العرب كانوا قبيل الإسلام إذا قضوا مناسكهم في الحج يجتمعون فيتنافرون ويتفاخرون بأنسابهم واحسباهم وأيامهم ويتكبر كل واحد منهم على الآخر فنهاهم الله عز وجل عن ذلك(11) بقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً...**﴾ (12).

(1) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 63.

(2) الجمحي، المصدر نفسه، ج1، ص ص63-64؛ الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص70.

(3) هو هرم بن سنان من ذبيان من غطفان. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص252.

(4) هو الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة صاحب الحمالة في حرب داحس. ينظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص418.

(5) السحيل: المفتول على قوة واحدة، والمبرم، المفتول على قوتين أو أكثر. ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص75.

(6) التدارك: التلافي و التفاني، التشارك في الفناء، منشم، قيل هو اسم امرأة تبيع العطر أشترى منها قوم عطر وغمسوا أيدهم وتحالفوا على القتال فقتلوا على أخرهم، فضربت العرب بها المثل في الشؤم. ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص75.

(7) هو الأحوص الشاعر أبو عامر عبد الله بن محمد بن عبد الله. ينظر: الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1997م، ج5، ص 477.

(8) من بطون بكر بن وائل علياً ويشكر وبدنا. ينظر: ابن دريد، الاشتقاق، ص339.

(9)ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص524؛ الزبيدي، تاج العروس، ج9، ص 403.

(10) كرد رجيع: كالذي يرد الماء الجاري عن وجه الأرض، ينظر: ابن دريد، الاشتقاق، ص534.

(11) الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط4، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ج1، ص245؛ الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: عبد الفتاح ابو سنة وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، ج1، ص 423؛ الخوئي، أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، ط4، دار الزهراء، بيروت، 1975م، ص66.

(12) سورة البقرة من الآية 200.

رابعاً- الدين:

إن المعتقد الديني أحد العوامل التي لها أثر في صلات القبائل قبل الإسلام لكن تأثيره لم يصل إلى قوة تأثير العوامل التي سبقته مثل العامل الاقتصادي أو الاجتماعي أو الشعر والشعراء، ويتباين أثر الدين في رسم صلات القبائل مع بعضها البعض من قبيلة لأخرى، وسنرى بأن أكثر القبائل تأثراً بهذا الجانب واستفادة منه هي قبيلة قريش لنزولها في الحرم، فأصبحت لها خصوصية تميزها على غيرها من القبائل، ويرى الدكتور حسين مؤنس(1) بأن عنصر الدين قبل الإسلام كان يؤمِّنْ حياة الاستقرار والانتظام والرخاء، وبصورة عامة فأن أغلب القبائل العربية كانت تعظم البيت الحرام فلا تتقاتل فيه، وتحترم قريش فلا تتعرض لتجارتها لأنهم كانوا يرون بأن قريش جيران بيت الله(2)، ولم تدخر قريش جهداً في استغلال هذا الجانب، فعملت على تحسين صلاتها مع القبائل العربية في الحجاز وغيره من المناطق(3)، وبلغ من أثر الحرم في الصلات بين القبائل بأنه إن كانت هناك قبيلتان متحاربتان ودخلت ودخلت إحداهما في حدود الحرم أمسكت الأخرى عنها ولم تقاتلها تعظيماً لحرمة بيت الله الحرام(4)، وبلغت حرمة الحرم عند بعض القبائل بأن الرجل يحدث الحدث بقتل الرجل أو لطمه أو ضربه فيربط

(1) تاريخ قريش، ص129.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج15، ص 211؛ الاستراباذي، محمد بن الحسن، شرح شافيه ابن حاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م، ج4، ص 307؛ الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى في سيرة خير العباد، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج1، ص 270.

(3) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الأفاق العربية، بيروت، 1933م، ص87.

(4) كانت قريشاً بسوق عكاظ فأتاها خبر قتل أحد أحلافها لرجل من هوازن التي حضرت هذا السوق بكثرة فأنسلت فأنسلت قريش من السوق باتجاه مكة ولما علمت هوازن بذلك لحقت بقريش وحدث قتال بين القبيلتين حتى إذا جن الليل دخلت قريش الحرم فأمسكت هوازن عنهم رعاية لحرمة البيت وقال شاعر هوازن في ذلك،

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على (سخينة) (*)   لـــولا الليـــل والحـــرم(**)

(*) السخينة: طعام حار يتخذ من دقيق وسمن وقيل دقيق وتمر أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها حتى سموا سخينة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص 206؛ الزبيدي، تاج العروس، ج6، ص 248.

(**) ينظر: ابن حبيب، المنمق، ص17؛ الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد الشافعي، السيرة الحلبية، المسمى إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، ط3، تح: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م، ج1، ص

لحى من شجر الحرم في رقبته فلا يتعرض له أحد(1)، واستغلت قريش مواسم الحج خير استغلال فعملت على تنويع صلاتها مع القبائل سياسياً واقتصادياً وبوسائل مختلفة منها التحالفات لذلك فقد أولت قريش أمور الحج والحجيج عناية خاصة(2)، ونجحت قريش في تكوين شبكة من الصلات الحسنة مع مختلف القبائل، لذلك فقد أصبحت آمنة في تجارتها(3)، وللأشهر الحرم أثر كبير في العلاقات بين القبائل، فأغلب القبائل كانت تضع أسلحتها في هذه الأشهر فلا غارة ولا قتال(4)، بل أن الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يعترض سبيله إن كانوا في الأشهر الحرم(5)، وبذلك يمكن اعتبار الأشهر الحرم بمثابة هدنة بين القبائل تستخدمها القبائل لتحسين صلاتها فيما بينها أو لاستعادة عافيتها وتمويل نفسها، ودليل ذلك أن الكثير من الأسواق العامة كانت تقام في الأشهر الحرم(6) ومن الأعمال التي تقام فيها هو التفاوض بين القبائل ودفع ديات الأسرى(7).

وهذا لا يعني أن للبيت الحرام والأشهر الحرم هذا التأثير على جميع القبائل العربية فقد كانت بعضها لا يعتمر ولا يُحَرِّمْ الشهر ولا البلد الحرام منها قبيلتي طيء وخثعم(8)(9)، ومن الشواهد على أثر الدين في الصلات بين القبائل هو أنه على الرغم من العداء الذي حدث بين الأوس والخزرج فأنهم كانوا إذا ما ارتبط الأمر بالحج أو بالعمرة فأن من عادتهم إذا خرج أحدهم للحج أو العمرة علق على باب بيته (كرانيف) (10) النخل فعلم الناس أنه ذاهب للبيت فلا يتعرضون له(11)، وانفرد المسعودي بنقل رواية تفيد بأنه قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة كان قد حدث قتال في موسم الحج وعند البيت الحرام ونهبت القبائل بعضها بعضاً فسميت تلك الحجة بحجة الغدر(12)، وعقدت بعض القبائل العربية أحلافاً

---

(1) ابن الأثير، أبي السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: أبو عبد الرحمة صلاح بن محمد بن عويصة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج3، ص 22؛ الزبيدي، تاج العروس، ج3، ص 331.

(2) عبد الله، الدعوة الإسلامية وحياة البداوة، ص ص43-44.

(3) الآلوسي، بلوغ الأرب، ج3، ص 380.

(4) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص ص 73، 74؛ الجوهري، مختار الصحاح، ج5، ص 1967.

(5) الطبري، جامع البيان، ج1، ص 697؛ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب صقر العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ج2، ص 149.

(6) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص ص 270 - 271.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص39؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص ص 270 - 271.

(8) خثعم، بن انمار بن أراش بن عمرو بن الغوث. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص387 .

(9) الجاحظ، الحيوان، ج7، ص 1483؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص399.

(10) كرانيف النخل: هي أصل السعفة الغليظ الملتصق بجذع النخلة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص297

(11) ابن حبيب، المنمق، ص269؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص599.

(12) للمزيد عن أخبار هذا الحدث والقبائل التي كانت سبباً في ذلك ينظر: التنبيه والإشراف، ص173.

قامت على أساس الدين منها الحمس و(الحلة)[1] وكذلك العباد الذين كانوا بطون شتى من قبائل العرب العرب فجمعتهم النصرانية واجتمعوا في الحيرة فسموا العباد وأصبح ذلك نسباً يرجعون إليه[2]، وفي بعض الأحيان يكون الاختلاف في المعتقد الديني أحد أسباب القتال وإراقة الدماء بين القبائل وإن كان نادر الحصول، ومنه القتال الذي حدث بين (كنانة) [3] وغطفان[4] لأن بني بغيض بن ريث بن بن غطفان كانوا قد بنو بيتاً في أرضهم وسموه بساً بعد أن أخذوا حجراً من الصفا وآخر من المروة[5] وبنو وبنو عليهما ذلك البيت وأخذوا يتعبدونه ويتخذونه حرماً لهم فبلغ ذلك زهير بن جناب الكناني[6] فقال والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حي ولا أدع غطفان تتخذ حرماً فجمع قبيلته وغزا غطفان وقاتلهم أشد قتال وظفر بهم وأخذ منهم فارساً وقتله في حرمهم فَعَطّلَهُ وهدم بساً وما حوله[7].

وبصورة عامة فان القبائل العربية غير الحمس سواء كانوا نصارى أم وثنيين لم يكونوا يقيمون وزناً كبيراً للدين في صلاتهم مع القبائل الأخرى[8]، فالقبائل الوثنية لم تكن صلتها بآلهتها وثيقة جداً[9]، فكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له (سعد)[10] وفيه يقول قائلهم[11]:

أتينـا إلى سعـد ليجمـع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعدِ

وهل سعد إلا صخرة بتنــوفـة[12] مـــــن الأرض لغــــــيٍّ ولا رشـدِ

---

(1) الحلة: هم تميم وضبه ومزينة والرباب وعكل وثور وقيس عيلان باستثناء ثقيف وعامر بن صعصعة وربيعة بن نزار نزار كلها وقضاعة وغيرها. ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص257.

(2) ابن دريد، الاشتقاق، ص11.

(3) كنانة، هي غير كنانة المذكورة في عمود النسب النبوي، وهي كنانة عذرة من كلب القحطانية. ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص254.

(4) غطفان، هم بنو غطفان بن سعد بن قيس عيلان. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص250 .

(5) الصفا والمروة: هما موضعان بين بطحاء مكة والمسجد وأما الصفا فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الاسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 192/5.

(6) هو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن عوف بن عذره الكلبي، أحد من اجتمعت عليه قضاعة في الجاهلية. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ص456-457؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص454-455.

(7) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص476؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص ص 454-455.

(8) حتي، تاريخ العرب، ص53.

(9) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص25.

(10) كانت تعبده بني بكر بن كنانة. ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص 255.

(11) الشهرستاني، الملل والنحل، ص391.

(12) تنوفة: مكان منخفض من الأرض فيه ماء ونخل. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج2، ص 387.

وهذا (امرؤ القيس)(1) عندما قُتِلَ أبوه وأراد الطلب بثأره أتى الصنم (ذو الخلصة) (2) فأستقسم عنده ثلاث مرات كل مرة يخرج الأمر بنهيه عن ذلك فكسر الأعواد التي كانت بيده ورمى بها وجه الصنم وشتمه(3) ثم قال(4):

لو كنت يـاذا الخلصة الموتورا

مثلي وكـــان شيخك المقبـورا

لـــم تنــه عـــن قتل العـداة زورا (5)

أما القبائل النصرانية في شبه الجزيرة العربية فهي لا تختلف كثيراً عن القبائل الوثنية في تأثرها بالدين من حيث تأثره في صلاتها مع القبائل الأخرى فهناك قبائل نصرانية مثل (بني تغلب) (6)، لكنها لم تتقيد بالوازع الديني، فكانت تغزو وتغير على القبائل الأخرى بل ذهبوا لأبعد من ذلك حيث أغاروا على بعضهم البعض فيسبون ويقتلون(7).

خامساً-السياسة الخارجية:

يمكن اعتبار هذا العامل من أقل العوامل تأثيراً في تشكيل ملامح وصور الصلات بين القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية بصورة عامة والحجاز خاصة، لأن مكة هي مركز الحجاز الديني والروحي لم يسبق وأن دخلت تحت سلطان دولة من الدول أو حكومة من الحكومات، بالرغم من أن الفرس والرومان والأحباش لم يكونوا يخفون أطماعهم في التوسع وضم الحجاز إلى مناطق نفوذهم(8)، وحديثنا عن السياسة الخارجية سيأخذ اتجاهين الأول أجنبي خارجي يمثل الفرس والرومان والأحباش، والثاني داخلي يمثل ملوك الغساسنة والمناذرة وأن كانا قد ارتبطا ببعضهما البعض بطريقة أو بأخرى.

والذي اضعف من أثر هذا العامل في تحديد صلات القبائل مع بعضها البعض هو الطبيعة القاسية التي جعلت من سجايا العرب عدم الانقياد لحكم أو سياسة(9)، وكانت أغلب القبائل العربية في الحجاز

(1) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار. ينظر: السمعاني، الأنساب، ج5، ص248.

(2) ذو الخلصة: صنم كانت تعبده بجيله و خثعم وغيرهما من القبائل. ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص255.

(3) الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تح: إحسان عباس، دار السراج، بيروت، 1980م، ص129؛ حتي، تاريخ العرب، ص142.

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص 57.

(5) الزور: هو الميل عن الحق، ينظر: الزبيدي تاج العروس، ج3، ص 245.

(6) هم ولد عمرو بن غنم بن تغلب وفيهم العدة والعدد. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص304.

(7) الجاحظ، الحيوان، ج7، ص 1483؛ حتي، تاريخ العرب، ص53.

(8) عبد الله، ضرغام، تطور أنظمة الحكم والسياسة في العصور العربية القديمة والإسلامية الوسيطة، دار الشؤون الثقافية الثقافية العامة، بغداد، 2007م، ج1، ص 210.

(9) ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 149.

وغيره تأبى الخضوع لغيرها وتأنف الانقياد لقبيلة أخرى أو دولة من الدول(1)، ورغم ذلك فقد امتد الصراع في بعض الحالات بين الفرس والروم والأحباش ليؤثر على القبائل في الجزيرة العربية وكانت مصالح القوى الأجنبية تمثل بالأساس في محاولة استغلال ثروات البلاد الاقتصادية وتأمين طرق مواصلاتهم التجارية الممتدة عبر المنطقة العربية وهي طرق ومنافذ مهمة لاقتصادهم(2)، إلا أن تدخل هذه القوى في شؤون الحجاز خاصة لم يكن بصورة مباشرة سوى قيام الأحباش بغزو مكة إلا أن محاولتهم هذه باءت بالفشل الذريع(3)، وكان تدخل هذه القوى في شؤون القبائل عن طريق صنائع يتخذونها مثل الغساسنة الذين يؤيدون الروم والمناذرة في الحيرة يؤيدون الفرس، وبالطبع فأن مصلحة الفرس والروم هي في عدم توحد العرب واستمرار تفرقهم(4)، ولملوك الحيرة أكثر من غيرهم دور في هذا الجانب فاتخذوا من تأريث الخلاف بين القبائل العربية وتأجيج الصراع بينها وما يعقبه من حروب ثم دعوتهم لإطفاء لهيبها صلحاً أو الوقوف بجانب هذه القبيلة أو تلك بصورة مباشرة أحياناً وغير مباشرة حيناً آخر أحد أساليب تثبيت حكمهم(5)، ومثال ذلك الصلح الذي حدث في مجلس (عمرو بن هند) (6) بين بكر وتغلب وتأييد عمرو لتغلب(7)، وكذلك دفع (النعمان بن المنذر) (8) (بني نهشل نهشل) (9) للأخذ بثأرهم من (بني عجل) (10)، ولم تكن القبائل غافلة عن هذه الأساليب فهذا (سويد (سويد بن حذاق)(11) يهجو عمرو بن هند وأخاه قابوس لظلمهم وجورهم وتفريقهم بين القبائل فيقول(12):

---

(1) النص، العصبية القبلية، ص143.

(2) عبد الله، تطور أنظمة الحكم، ج1، ص 201.

(3) ابن هشام، ، ج1، ص ص 30-35؛ السهيلي، الروض الانف، ج1، ص ص 117-125.

(4) معاليقي، صفحات مطوية، ج1، ص 75.

(5) العيثاوي، الأدب في الحيرة، ص145.

(6) هو عمرو بن المنذر ملك الحيرة، ينظر: ابن حبيب، المنمق، ص71.

(7) العيثاوي، الأدب في الحيرة، ص145.

(8) هو النعمان بن المنذر بن الحارث ملك الحيرة. ينظر: السمعاني، الأنساب، ج5، ص 393.

(9) بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظله . ينظر: كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م،ج1، ص370.

(10) هم بنو عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف، تح: علي الخراساني وآخرون، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1986م، ج1، ص480.

(11) هو سويق بن حذاق العبدي من المعمرين في الجاهلية. ينظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي، كمال الدين وتمام النعمة، تح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1984م، ص566.

(12) العيثاوي، الأدب في الحيرة، ص145.

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله وأن قيل عيش في السدير غزير(1)

بها البـــق والحمى وأســد خفية وعمــرو بن هند يعتدي ويجور

جـــزى الله قابـوس بـــن هـنـد بفـــعلته بنا وأخـاه غدرة وآثاما

بما فجـــرا يـــوم العـــطيف وفرقا قبـائل أحـلافاً وحـــياً حـــراما(2)

وهناك بعض القبائل إذا ما بلغت مرحلة من القوة فأنها تحاول أن تفرض سيطرتها على القبائل الأخرى، لكن ذلك لم يكن ليدوم طويلاً لما ذكرناه سابقاً من تطلع القبائل بطبعها إلى الحرية وعدم الانقياد لسياسة، كما تحررت بكر من تسلط كليب رئيس تغلب بعد أن كان يحمي الأرض ويتعسف في حماها فأدى ذلك في النهاية إلى قتله وكان ذلك سبباً في حرب البسوس(3) وكما تحرر بني أسد من سيطرة (حجر بن عمرو)(4) بعد أن كان يأخذ الإتاوة منهم كل عام(5).

ولا نغفل أثر التجاور الجغرافي في تحديد سمات الصلات بين القبائل لأن أغلب التحالفات وكذلك الأيام التي كانت تحدث بين القبائل العربية قبل الإسلام كانت بين القبائل المتجاورة جغرافياً، لما يخلفه هذا التجاور من ارتباط المصالح فيؤدي للتحالف أو تضارب المصالح فينشب القتال بين القبيلتين المتجاورتين، وكان للعرب قبل الإسلام عدد من الحكام الذين كان لهم دور بارز في إنهاء الكثير من الخصومات بين القبائل والأفراد على حد سواء إذ كانت الكثير من القبائل تلجأ في خصوماتها إلى هؤلاء الحكام الذين اشتهروا بالحنكة والدهاء **والقدرة على فض الخصومات** ومنع إراقة الدماء(6).

النتائج

من خلال هذا البحث اهتدينا إلى بعض النتائج البسيطة وعلى النحو الآتي:

---

(1) السدير: قصر في الحيرة. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج3، ص261.

(2) يوم العطيف: لم نعثر له على ترجمة.

(3) ابن دريد، الاشتقاق، ص338؛ اليوزبكي، البطولة في الشعر العربي، ص116.

(4) حجر بن عمرو، هو والد الشاعر امرؤ القيس قتله علباء بن حارثه بن هلال، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص191.

(5) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج2، ص ص544 - 545؛ النص، العصبية القبلية، ص123.

(6) للمزيد عن حكام العرب في الجاهلية ودورهم في تحسين الصلات بين القبائل. ينظر: البصري، نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص194؛ ابن حبيب، المحبر، ص ص132–137؛ شيخ الربوة، محمد بن طالب الأنصاري الدمشقي، كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م، ص332؛ أبو البقاء، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ج1، ص171؛ الآلوسي، بلوغ الأرب، ج1، ص303.

1- أكثر العوامل أثرا في الصلات بين القبائل هو العامل الاقتصادي والثأر، واضعف العوامل هو الدين والسياسة الخارجية.

2- أفضل الوسائل للإصلاح والتقريب بين القبائل هي المصاهرات والديات.

3- إن النظام القبلي في الحجاز فرضته البيئة القاسية وعدم وجود نظام سياسي موحد ولم يعرف العربي قبل الإسلام الانتماء والولاء لمجتمع اكبر من قبيلته.

4- لم يكن انتقال القبائل في الحجاز بغير هدى ففي الغالب أن لكل قبيلة منازل ومراع خاصة ترتادها كل عام وتحاشى القبائل الأخرى النزول فيها قدر الإمكان تجنبا للنزاع.

5- إن أساس النظام القبلي عند العرب قبيل الإسلام كان قائما على نظام الأبوة.

6- معظم الأيام والتحالفات تكون بين القبائل المتجاورة في منازلها جغرافيا.

7- اغلب التحالفات السياسية بين القبائل تتكون بحسب مصالح الفرقاء وواقعية المنحى لتفادي خسارة المعارك ولفترة قصيرة.

8- لا تجعل القبائل النسب إلى عدنان أو قحطان أساس للتحالف أو القتال بل قد تحالف قبيلة قحطانية مع أخرى عدنانية ضد قبيلة قحطانية أو بالعكس.

9- أفضل سياسة اتبعتها قبيلة هي سياسة قبيلة قريش القائمة على كسب ود جميع القبائل أو مهادنتها والسعي للصلح إن حدث توتر في الصلات معها وحالتها الاقتصادية ومكانتها من بيت الله الحرام هو من فرض عليها ذلك.

10-عند ظهور الإسلام كانت اغلب القبائل في الحجاز قد دخلت في حلف مع قبيلة أو أكثر.

11-لم تكن سياسة أي قبيلة في الحجاز ثابتة وواضحة تجاه القبائل الأخرى بل اغلب سياسات تلك القبائل تتحكم فيها الظروف الطارئة، باستثناء قبيلة قريش التي كانت سياستها واضحة وثابتة على طول الخط ومع جميع القبائل.

11-العامل الاقتصادي المتمثل بقحط الأرض وقلة الموارد الطبيعية وندرة المياه من العوامل الأساسية في رسم صورة الصلات الاقتصادية بين القبائل.

12-- تعد مدة الأسواق الموسمية والأشهر الحرم بمثابة هدنة بين القبائل المتناحرة يتم خلالها تمويل القبائل لنفسها ومفاداة الأسرى وعقد الأحلاف وغيرها من النشاطات الأدبية والسياسية والاقتصادية.

13- أطول حلف عقد في الحجاز قبيل الإسلام كان بين قريش والاحابيش حيث استمر لأكثر من خمسين عاما.

مكتبة علوم النسب

***

**

*